الهجرة فى ضوء القرآن الكريم

(تعريف الهجرة - أسبابها – و فوائدها التربوية)

ملخص
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، أما بعد ففي كل بداية كل سنة هجرية يحيي المسلمون ذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه و سلم من مكة إلى المدينة المنورة، ولكن هل نستحضر الحدث التاريخي وكفى أم أن للهجرة أبعادا متعددة ينبغي الوقوف عندها و تمثلها في حياتنا اليومية؟ هذا ما سنحاول التطرق إلى جزء منه - الأبعاد التربوية- في هذه المقالة عن شاء الله.

أولا - تعريف الهجرة : هجر - يهجر- هجرا أى ترك وطنه وانتقال من البلاد إلى البلاد نحو قوله تعالى فى سورة الحشر الأية التاسعة [illegible] أي: والذين استوطنوا المدينة، وآمنوا من قبل هجرة المهاجرين - وهم الأنصار- يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسدًا لهم مما أُعْطوا من مال الفيء وغيره، ويُقَدِّمون المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقر، ومن سَلِم من البخل ومَنْعِ الفضل من المال فأولئك هم الفائزون الذين فازوا بمطلوبهم.

أن أصل الهجرة هجرة الوطن وفى الشرع ترك دارالكفر ولحق إلى دارالاسلام وأن المهاجر من فرق أهله ودينه وجاء إلى بلاد الاسلام وقصد النبى صلى الله عليه وسلم رغبة فيه وإيثارا[1]، إذا الهجرة الذى نعنيه هنا هجرة من مكة إلى المدينة كقوله تعالى فى سورة الأنفال:([illegible])

من هنا يتضح لنا أن الهجرة انتقال وحركةٌ :النقطة الدقيقة أن الهجرة انتقال من مكان إلى مكان، والبشر جميعاً في شتى بقاع الأرض، وفي شتى العصور ينتقلون، فإن تنقلت من مكان إلى مكان فأنت مهاجر، ولكن الآية الكريمة قيدت الهجرة في سبيل الله، لأن الهجرة قد تكون في سبيل الدنيا، أو في سبيل الشيطان، فإن كانت من أجل الأموال كي تنفق في المباحات فهي في سبيل الدنيا، وإن كانت من أجل المعاصي والآثام فهي في سبيل الشيطان، فالانتقال

[1] جامع الأصول 241/1.

يكون عبادة من أرقى العبادات، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا)

جاء فى الوجوه و النظائر لألفاظ كتاب الله العزيز أن تفسير الهجر على أربعة أوجه فوجه منها:

تهجرون يعنى : تسبون محمدا صلى الله عليه و سلم قوله تعالى فى سورة المؤمنون: [illegible] وتسبون القرآن كقوله تعالى فى سورة الفرقان: [illegible]

الجهر: الانفراد والعزلة قوله تعالى فى سورة المزمل: [illegible] وقوله تعالى فى سورة مريم: [illegible]

هاجر: أى رجع إلى طاعة الله عز وجل – وانتقل من بلد إلى بلد سلامة أمرالدين هذا هوالذى نقصد هنا بالهجرة قوله تعالى فى سورة العنكبوت :[illegible] أى منتقل من حران إلى فلسطين وقوله تعالى فى سورة النساء: [illegible]

الهجر : تحويل الوجه فى الفراش عن الزوجة قوله تعالى فى سورة النساء: [illegible]

ثانيا – أسباب الهجرة أن الناظر فى القران الكريم يجد أن الظروف المحيطة بها كانت تقتضى الهجرة من مكة إلى المدينة وذالك لأسباب الأتية منها : الفتنة فى الدين كما جاء فى قوله تعالى فى سورة النحل: [illegible]

أن هذه الأية نزلت فى المسلمين المستضعفين فى مكة هاجرومن بعد ما وافقوهم الفتنة فى الدين من تعذيب وإكراه تلفظ بكلمة الكفروسب النبى الصلى الله عليه وسلم كما فى سورة النحل: [illegible]

هذه الأية نزلت فى عماربن ياسر حين أخذه المشركون حتى يكفر ويترك دين محمد صلى الله عليه وسلم فوافقهم على ذلك مكرها [2]

من المعروف فى الدين بالضرورة أن من كفر بعد الايمان وصبر كان له غذابا غظيما فى الدارالأخرة لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الأخرة إلا من أكره بالكفر وقلبه مطمئن بالايمان، ومن هنا إتفق العلماء على أنه يجوز أن يوارى المكره على الكفر إبقاءا لمنهجه ولكن من باب الأولى أن يثبت المسلم على دينه ولويؤدى إلى القتل. والله أعلم.

[2] تفسير ابن كثير سورة النحل الأية : 106

أوذى من أوذى من الصحابة حتى تؤدى تلك الفتنة إلى الظلم والقتل كقوله تعالى فى سورة النحل:([illegible]) وفى سورة البقرة: [illegible])

أن حقيقة الظلم والقتل من المشركين لا يراد به القضاء على الصحابة رسول الله فحسب إنما يراد به القضاء على دين الله كما قال تعالى فى سورة التوبة: ([illegible])

ومن الأسباب الثانية : النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما قال تعالى فى سورة الأنفال: ([illegible])

المراد بالاثبات كما قاله المفسرون الشد بالوثاق والارهاق بالقيد والحبس المانع من لقاء الناس و دعوتهم إلى الاسلام والمراد بالقتل هنا كما فعل أبو جهل وأصحابه مرارا النيل من الرسو ل صلى لله عليه وسلم ولكن الله غالب على أمره .

ثالثا : ثواب الهجرة وفوائدها منها أن المهاجريبوؤ الله له الحسنات فى الدنيا يكفر سيئاتهم ويدخلهم الجنات فى الأخرة كما فى قوله تعالى فى سورة أل عمران: [illegible] وفى سورة التوبة: [illegible] وفى سورة النحل: [illegible]) لأن المهاجر يرجى رحمة من عند الله ويشرى نفسه إبتغاءا مرضاة الله ويرجى تجارة لن تبور

منها أن المهاجر يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة قال تعالى فى سورة النساء: ([illegible] وفى سورة الحج : [illegible])

منها أن المهاجر أعظم وأكثر درجة عند الله قال تعالى فى سورة التوبة:([illegible])

ومنها قبول توبتهم كما قال تعالى فى سورة التوبة: [illegible])

فالهجرة إذن ليست حدثا تاريخيا يقرأ وكفى في انتظار سنة أخرى، وإنما هي مناسبة لاستخراج الدروس و العبر، بل العمل بها و التأسي برسول الله صلى الله عليه و سلم لأن كل ما حولنا ينبغي أن يسخر لمصلحة دين الا سلام و في خدمة المسلمين .. لأن ضياع الدين يعني ضياع كل شيء , و قد كانت هجرة رسول الله صلى الله عليه و سلم مناسبة غالية تستوجب من كل مسلم و مسلمة التمعن في قراءتها و فهمها , ذلك أنها لم تكن مجرد هروب من الأذى و العذاب , و لم يكن أصحابها يبحثون عن مكان الراحة و الاسترخاء, بل هي تعبير صادق عن إيمان رجال صادقين و نساء صادقات وإذ ليس من الهين أن يدع الرجل ماله و أهله و بنيه و وطنه ليرحل عنهم ، إنها قوة الإيمان و عظمة اليقين في الله عز وجل , إنها ثمرة التربية النبوية.

وفيما يلي ذكر موجز لبعض الدروس و العبر التربوية المستفادة من الهجرة النبوية:

أ- التوبة وهجران ما حرم الله:

الهجرة مستمرة، و التوبة بابها مفتوح ن وأجل المرء غير معلوم، مما يستوجب التعجيل بالتوبة على الله عز و جل ، دون أن يلهينا الأمل و متاع الدنيا لقوله جل جلاله: { ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون}سورة الحجر:3. و قوله عز و جل: { وتوبوا إلى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون} سورة النور:31 و قول الحبيب المصطفى: " توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي في كل يوم مائة مرة" رواه مسلم في صحيحه. فهذا رسول الله المؤيد بالله والمعصوم يتوب أكثر من مائة مرة في كل يوم، فكيف بنا نحن البشر الخطاؤون المعرضون للفتن و وساوس الشيطان اللعين، فالأجدر بنا أن نقتدي بسنة الرسول الصادق المصدوق في الإكثار من التوبة والاستغفار. و ينبغي أن تكون هذه التوبة نصوحة خالصة لوجه الله سبحانه و تعالى، تتوفر فيها الشروط المعروفة في هذا الباب و هي الإقلاع عن الذنب و العزم على عدم الرجوع إليه و الندامة على ما مضى و رد المظالم لأهلها، و البحث عن صحبة و بيئة صالحة تعين صاحبها على ذكر الله و تخرجه من سباته و غفلاته, و هجران أصحاب السوء.

ب - صدق التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب:

إن ترك المال والأهل والولد والوطن استجابة لأمر الله عز و جل، و ثمرة تربية إيمانية عملية قوية غرضها الأسمى نيل رضى الله سبحانه و تعالى. كل ذلك كان ثمرة التربية التي تلقاها الصحابة رضي الله عنهم على يد الحبيب المصطفى في مكة المكرمة في بيت الرقم ابن الأرقم في بدء الأمر، مما يبين قمة التوكل على الله عز و جل و اليقين التام بأن نصر الله آت. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغذو خماصا و تروح بطانا. " رواه الترمذي و غيره و قال حسن صحيح.

كما حرص رسول الله أن تكون الهجرة خالصة لوجه الله تعالى حيث حرص على أن تكون الراحلة من حر ماله صلى الله عليه و سلم.

ج - ملازمة الأخيار و الصالحين لا تثمر إلا خيرا:

لقد كان سيدنا أبا بكر على علم أن الرحلة لن تمر دون مشقة، و مع ذلك حرص على مصاحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم، لأنها مصاحبة الصادق المصدوق من لدن مؤمن كأبي بكر يعرف قيمتها و غرضها النبيل، و ظهرت فرحة أبي بكر واضحة فيما روي أمنا عائشة لما

رد الرسول الأعظم على أبي بكر قائلا: الصحبة. قالت عائشة: " فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ"
د- هم الدعوة لا يفارقه صلى اله عليه و سلم:
حرص صلى الله عليه و سلم على دعوة الناس إلى الإسلام في طريقه إلى المدينة المنورة كما هو شأن قاطعا الطريق اللذان دعاهما على طريق ركوبة أسلما, و كذا إسلام بريدة بن الحصيب و من معه في الغميم [واد بين مكة و المدينة [حيث صلى معهم العشاء.
ه - تفعيل دور المسجد: المؤسسة الحاضنة للدعوة:
إن أول عمل قام برسول الله صلى الله عليه و سلم حين وصل المدينة المنورة بناء مسجد قباء, و لم يبنه الحبيب لأداء الصلوات فقط بل كان مؤسسة تؤدى فيه الشعائر , و تدرس فيه أمور الأمة و شؤونها, و فيه تقام حلقات العلم, و منه تخرج سرايا الجهاد و الغزو.....لقد كان المسجد في عهده صلى الله عليه و سلم مؤسسة قائمة بذاتها و كانت عمارة المسجد دأب المؤمنين الأوائل امتثالا للآية الكريمة : { ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر, أولئك حبطت أعمالهم و في النار هم خالدون, إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر و أقام الصلاة و آتى الزكاة و لم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين} سورة التوبة 17-18.
و - الولاية بين المؤمنين والمؤمنات:
لقد ترك المهاجرون كل شيء وراءهم بمكة , نزلوا إخوانا كراما على الأنصار أصحاب المدينة الذين نصروا و آووا و آثروا على أنفسهم و واسوا و قدموا المثال الصادق للأخوة و المحبة في الله عز و جل فقال فيهم الله عز و جل: كما في سورة الحشر السابق
ز - حفظ الأمانات وصيانتها:
اول ما ينبغي أن يحفظ هو دين الله عز و جل و لذلك هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم, و من الدين إقامة الشعائر و التقرب إلى الله بالفرض و النفل و الصلاة في وقتها , و من الأمانات كذلك الحفاظ على ذكر الله في السكنات و الحركات. و من حفظ الأمانات تخاف علي كرم الله وجهه بطلب من الرسول المصطفى حتى يقوم بوظيفتين : الأولى أن يوهم المشركين بان الحبيب لم يغادر حجرته و الثانية : أن يرد الأمانات إلى أصحابها, و هي أمانات كان المشركون يودعونها عند رسول الله رغم تكذيبهم برسالته لما يعرفون عنه من حفظ الأمانة و صدق الحديث.
من دروسها أيضا: من آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً) سورة النساء 97:

معنى هذه الآية : إنسان توفاه الله وهو ظالم لنفسه ، ارتكب الكثير من المعاصي، إذا سأله الله البيئة يا ربي ! والله كانت صعبة جداً ؛ فيها ضغط، وإكراه على المعصية، : : لماذا ؟ يقول له أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ (: أي الجو كله موبوء، لا أستطيع أن أفعل غير هذا. الله عز وجل يقول له

معنى هذا أيهما سورة النساء: 97 وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) أغلى ؛ مكان إقامتك ، ومصالحك ، ومعملك ، وبيتك ، وسيارتك ، ومتجرك ، وأهلك ، أم (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا : دينك ؟ بالآية دينك ، ليس لك عذر عند الله عز وجل أي إذا رجحت مصالحك المادية سورة النساء : 97 فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) :، وبيئتك ، وعملك ، وتجارتك ، وأهلك ، رجحت هذه المصالح المادية على دينك ، المصير لكن إذا رجحت دينك ، وفررت به سورة النساء : 97 (فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) سورة (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً) : ، فاسمع الجواب . وعد من الله ، لا يوجد إنسان يهاجر من أجل دينه إلا و سيجد سعة في الأرض النساء:100

مراجع المقال:

1- ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، 3/ 96 - 97.

2- ابن هشام، السيرة النبوية، بيروت، دار الفكر، 413/1.

3- أحزمي سامعون، الهجرة في القرآن الكريم، الرياض، مكتبة الرشد، 1996.

4- الزهري، المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار، دمشق، دار الفكر، 1981، ص 96.

5- سليمان العودة، الهجرة الأولى في الإسلام، الرياض، دار طيبة، 1419هـ، ص 34.

6- السيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، 1980، 1/ 29.

7- علي الصلابي، السيرة النبوية، بيروت، ابن كثير، 2004، 1/ 271 - 296.

8- محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دمشق، دار القلم، 1996